مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(٢ كور ٦: ١–١٠)

يا إخوةُ بما أنَّا معاونونَ نطلُبُ إليكم أن لا تقبَلوا نِعمةَ اللهِ في الباطل* لأنَّه يقولُ إنّي في وقتٍ مقبولٍ استَجبتُ لكَ وفي يومِ خلاصٍ أعَنتُك. فهوذا الآنَ وقتٌ مقبول. هوذا الآن يومُ خلاص* ولسنا نأتي بمعثَرةٍ في شيءٍ لئلاَّ يلحَقَ الخدمةَ عَيبٌ* بل نُظهِرُ في كلِّ شيءٍ أنفسَنا كخدَّامِ اللهِ في صبرٍ كثيرٍ في شدائدَ في ضرورات في ضِيقات* في جَلَدات في سُجونٍ في اضطرابات في أتعابٍ في أسهارٍ في أصوام* في طهارةٍ في معرفةٍ في طول أناةٍ في رِفقٍ في الروحِ القُدُسِ في محبَّةٍ بلا رياء* في كلمةِ الحقِّ في قوَّةِ اللهِ بأسلحةِ البرِّ عن اليمينِ وعنِ اليسارِ* بمجدٍ وهوانٍ. بسوءِ صيتٍ وحُسنِه* كأنَّا مُضِلُّون ونحن صادقون.

عطيّة الدموع

في الترنيمة التي خصصتها كنيستنا المقدسة لقدّيسيها النساك نقول «للبرية غير المثمرة، بمجاري دموعك أمرعت (أخصبت)»، وفي الأسبوع القادم علينا نعيّد لأكثر من ناسك قديس، أبرزهم أبينا البار اسحق السرياني (١١ ت١) الذي لمع في نواحي نينوى (قرب الموصل في العراق) في القرن السادس للميلاد. في كتب الأدب الروحية ونصوص العبادات في تقليدنا الأرثوذكسي كلام كثير عن الدموع، في حين أن روحانيتنا قيامية تقارع الحزن بالفرح وتقاتل اليأس بالرجاء. آباؤنا سمّوا الدموع الروحية حزناً يؤول إلى الفرح، والقديس سمعان اللاهوتي الحديث مثلاً يقول إنها أحلى من الشهد والعسل. بحسب هؤلاء الكبار هي غسل مقدس يتخطى غفران الخطايا إلى التكريس الجديد والكلّي بالروح القدس. انها ولادة جديدة من رحم ما يسمّيه الآباء «جرن الدموع». القديس يوحنا السلمي في المقالة السابعة من «سلّم الفضائل» يقول إن الدموع التي نذرفها تطهّرنا من كل ما دنسنا به المعمودية التي أخذناها ونحن أطفال، وأن هذه الدموع هي عطية من رحمة الله لولاها لكان الذين يخلصون قليلون. والقديس سمعان اللاهوتي الحديث اختبرها سراً من أسرار الكنيسة وذبيحة سرّية مرضية لله تستجلب لنا عطية الروح القدس الذي يختمنا سرّياً إلى الأبد ويجعلنا على صورة المسيح. الدموع التي غبّطها آباؤنا وسمّوها عطية من الله هي تلك التي تطهِّر وتنير وهي غير دموع الإنفعال النفسي التي نعرفها في حياتنا الأرضية، وإن كانت هذه أحياناً تمهِّد لتلك. الدموع الروحية تنشئ «توبة لخلاص بلا ندامة، وأما حُزْنُ العالمِ فيُنشئُ موتاً» (٢ كور ٧: ١٠). ما نسعى إليه في ما يلي هو بعض تفسير لميزات هذه الموهبة الكبرى ومحلّها في مختلف مراحل الإرتقاء الروحي، من التطهُّر إلى الإستنارة فالتألّه، غاية المجاهد المسيحي ومبتغاه.

أولى دموع الجهاد هي دموع إنسان بات يعي ما أفقدته الخطيئة من نعمة. إنها أولى ثمار التوبة العميقة، توبة الإبن الشاطر لما رجع

العدد ٢٠٠٨/٤٠

الأحد ٥ تشرين الأول

تذكار القديسة الشهيدة خاريتيني

اللحن السابع

إنجيل السَحَر الخامس

كأنَّا مجهولون ونحن معروفون كأنَّا مائتون وها نحنُ أحياءٌ. كأنَّا مؤدَّبون ولا نُقتَل* كأنَّا حزانٌ ونحن دائماً فرحون. كأنَّا فقراءُ ونحن نُغْني كثيرين. كأنَّا لا شيءَ لنا ونحن نملِكُ كلَّ شيءٍ.

الإنجيل

(لوقا ٦: ٣١-٣٦)

قال الربُّ كما تريدونَ أن يفعلَ الناسُ بكم كذلك افعلوا أنتم بهم* فإنَّكم إن أحببتم الذين يُحبُّونَكم فأيةُ مِنَّةٍ لكم. فإنَّ الخطأةَ أيضاً يُحبُّون الذين يحبُّونهم* وإذا أحسنتم إلى الذين يُحسِنون إليكم فأيَّةُ مِنَّةٍ لكم. فإنَّ الخطأةَ أيضاً هكذا يصنعون* وإن أقرضْتُمُ الذينَ تَرْجونَ أن تستَوْفوا منهم فأيَّةُ مِنَّةٍ لكم. فإنَّ الخطأةَ أيضاً يُقرِضونَ الخطأة لكي يستوفوا منهم المِثْلَ* ولكن أحِبُّوا أعداءَكم وأحسِنوا وأقرِضوا غيرَ مؤمِّلين شيئاً فيكونَ أجرُكم كثيراً وتكونوا بني العليّ. فإنَّه مُنعِمٌ على غيرِ الشاكرينَ والأشرارِ* فكونوا رُحَماءَ كما أنَّ أباكم هو رحيمٌ.

إلى ذاته. هذه الدموع تنزل على القلب، مركز كيان الإنسان وجوهره العميق، فتطفئ فيه بغزارتها نار الخطيئة، وتعيد إليه شيئاً فشيئاً طراوته الأولى. الدموع تجدد في القلب شوقه إلى الله وبرّه، فيتنامى ميله إلى الفضائل ومقته للأهواء. هذا القلب متى صار بالدمع أرضاً مثمرة يمتلئ حلاوة ووداعة وهدوءاً لأن الرجاء صار ساكناً فيه. الإبن الشاطر لما سحقته التوبة أمال وجهه ناحية أبيه وقام ومشى إليه. الأهم هنا أن مفعول الدموع الحقيقية يصبح عميقاً ودائماً لأنها مع الوقت تقلع الشر من جذوره وتُنبت للدامع جناحين يحملانه نحو الله.

آباؤنا الأبرار وضعوا بين الصلاة والدموع رباطاً وثيقاً. ولطالما حثّوا على الجدّ في اقتناء الدموع لأن «القلب المنسحق والمتواضع لا يرذله الله» (مز ٥٠: ١٧). القلب «المُجدب» يصبح «بالتنهدات التي من الأعماق» تربة طيّبة تقتبل بذار النعمة التي تنثرها يد الله لتبدأ مرحلة الإثمار. هذه المرحلة هي الدخول في التأمل الدائم بذكر الله أو الصلاة المستمرة المرفوعة من الكيان بجملته. الدموع هنا ترتقي أيضاً بنوعيتها وفاعليتها مع ارتقاء ذارفها في طريق النعمة. فبعد الدموع الشافية تأتي الدموع التي تغسل بقايا الأفكار الأرضية، فيستنير بها الذهن وتنتعش الروح. كيان الإنسان يصبح كلّه دامعاً، إنما بدموع الفرح والنور، فرح التقاء الحبيب ونور الشفافية التي يلدها الحب. بهذه الدموع يكون المجاهد قد اقتنى المحبة المقدسة المستمدة من اختباره للحب الإلهي، التي تصبح بحد ذاتها نوراً يشرق لكثيرين. بيد أن المجاهدين الكبار يحذرون من يبلغون هذه المرتبة من شيطان قتّال يتربص بهم هو شيطان العجب بالذات الذي يحاول اغتيال المجاهدين بإفقادهم تواضعهم، صاحب الفضل الأول في اقتبالهم نعمة الله ورفيقهم الأساسي الأمين على درب القداسة. من يفلت من فخّ هذا الهوى ويغلبه بزيادة الإتضاع، يكافئه الله بتعزيات كتلك التي نالتها المرأة الخاطئة لما بكت على قدمي مخلّصها فقبل هو دمعها طيباً ثميناً، وجعلها من خاصته.

الإنسان الذي تنقى بدموعه يصبح من فئة الذين لهم أن يعاينوا الله (متى ٥: ٨). فهو كلما رقّ وشفّ كلما دنى من خالقه بالنعمة، وكلما صار مشاركاً في ذاك المجد المعدّ منذ تأسيس العالم (متى ٢٥: ٣٤). لا يستطيع أن يعاين الله إلا من كان شفافاً لنور الله. فالكثافة (سيطرة الأهواء واهتمامات الأرض على الذهن والقلب) تحجب النور. هنا أيضاً تستمر الدموع ولكنها تصبح على حد تعبير الآباء حجاباً رقيقاً يخفف من بهاء النور الإلهي الباهر ليحتمل الإنسانُ المعاينة. ومتى اقتبل هذا المجاهد معرفة الله بالمحبة المقدسة يولد في أحشائه قلب جديد يعيش الله ويحسّه، وكأنه حاسة جديدة.

أنقياء القلوب غبّطهم المسيح وأعطاهم أن يعاينوا الله، والحزانى نالوا من السيد التعزية: «طوبى للحزانى لأنهم يَتعزَّون» (متى ٥:٤) «طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله» (متى ٥:٨). القديس إسحق السرياني يربط بين هاتين التطويبتين (متى ٥: ٤ و٨) لأن هذه الدموع هي التي تفتح للقديسين باب التعزية. فمن دموع التوبة إلى

تأمل

«ولكن أحِبُّوا أعداءَكم وأحسِنوا وأقرِضوا غيرَ مؤمِّلين شيئاً فيكونَ أجرُكم كثيراً وتكونوا بني العليّ. فإنَّه مُنعِمٌ على غيرِ الشاكرينَ والأشرارِ. فكونوا رُحَماءَ كما أنَّ أباكم هو رحيمٌ» (لو ٦: ٣٥-٣٦).

يريد أن يقول إن أحسنت للذين يسيئون إليك، وإن أعطيت الذين سوف لن يعطوك شيئاً بديلاً، لا تعتقد انك تخسر مالك لأن الوقت الحاضر وقت الزرع، زرع الاحسان، أمّا الدهر الآتي فهو وقت الحصاد. لا تيأس للزمن الذي يفصل بين الزرع والحصاد. بل آمن انك سوف تحصد أضعاف أعمالك الصالحة كما ان المسيئين سوف يحصدون نتيجة شرورهم...

ان تشبّهت هنا من خلال أعمالك بابن الله وأظهرت انك طيّب أمام الكل كما هو طيّب تجاه الجميع سوف تنال هناك وبازدياد ما ناله أعني أن تتلألأ بضياء مجده. «أنا قلت انكم آلهة وأبناء العلي أجمعون» (مز ٨١: ٦).

دموع الحب الأول فدموع الكمال. دموع تطهِّر الأرض أولاً ثم تفلحها وتخصبها وتزرعها زرعاً يُثمر ثمار الحلاوة والتعزية والغبطة، استقرار النفس في الله، حيث لا يكون «حُزنٌ ولا صُراخٌ ولا وجعٌ في ما بعدُ لأنَّ الأمورَ الأولى قد مضَتْ» (رؤ ٢١: ٤).

الموت

يحيط الزمن – الوقت بكل شيء في حياتنا. فنحن نعيش في محيط يحكمه الزمن والوقت (اليوم، الساعة، الفصل، السنة، الصباح، المساء إلخ...) وبالتالي لا مفر لنا من حكم الزمن. لكن زمننا نحن، وقتنا نحن، يتجهان بنا نحو نهاية حتمية لا مفر منها. انها الموت. فالزمن يقودنا نحو الموت. يقول علماء النفس ان الإنسان يحاول دائماً الهرب من حقيقة حتمية الموت. فهو يعي انه منذ لحظة ولادته يتجه نحو الموت، هو يكبر ليموت. وكأن الإنسان خُلق ليموت.

الموت إذاً بالنسبة للإنسان هو تلك النهاية الكبرى، وكل لحظة يعيشها في حياته هي محطة تتجه به نحو تلك النهاية. وهكذا نجد الإنسان في حياته يحاول اختراع النهايات الصغيرة (موعد مع حبيب، عطلة في الجبل، إلخ...)، يتلهى بها لكي ينسى تلك النهاية الكبيرة. هذه النهايات الصغيرة تملأ حياتنا ووقتنا دائماً فلا تسمح لنا حتى بمجرد التفكير بالنهاية الكبرى لكي نتهيأ لها. لكن سوف يأتي الوقت الذي يصطدم فيه الإنسان بحقيقة النهاية الكبرى. خوف الإنسان ليس من الموت بالتحديد، بل مما وراء تلك النهاية. ذلك المجهول الذي يلي تلك النومة الأخيرة إذ لم يعد أحد من الموت ليخبرنا ماذا يوجد بعد الموت، على الأقل بالمعايير والمفاهيم البشرية.

من هذا المنطلق يُطرح منذ القِدَم السؤال عن معنى الحياة، طالما ان حياة الإنسان تتجه نحو الموت. الفلاسفة القدماء أجابوا ان الحياة لا معنى لها وكل ما يحاول الإنسان أن يعمله هو فارغ لأنه سوف يختفي. إذاً، زمن الوجود البشري لا معنى له إلاّ إذا وُجد منظور جديد قادر على تخطي هذا الـ«لا معنى». وحده الرب يسوع استطاع أن يمنح هذا المنظور الجديد. كيف ذلك؟

جواب الكنيسة على السؤال عن معنى الحياة مستقى من خبرتها التي عاشها الرسل أنفسهم، مع حدث قيامة ربنا ومخلّصنا يسوع المسيح. ما هي القيامة؟ هي ظهور الحياة التي لا نهاية لها مجدداً في هذا العالم الذي يسيطر عليه الزمن والموت. الذي قام من القبر، الرب يسوع، لن يموت ثانية. لم تكن قيامة الرب يسوع خارج هذا العالم وخارج هذا الزمن. لقد قام يسوع في عالمنا هذا وفي زمننا – وقتنا هذا. لما قام يسوع من بين الأموات حطم الإعتقاد السائد ان كل شيء ينتهي مع الموت وان لا شيء بعد الموت، فقد وعدنا بحياة أفضل معه في الملكوت. القيامة من بين الأموات، قيامة ربنا يسوع المسيح وبالتالي قيامتنا نحن بالجسد، هي اساس إيماننا المسيحي (١ كور ١٥).

بالنسبة لنا، نحن لا نخاف الموت، لأن المسيح حطم الموت وقهره بموته على الصليب وقد أبطل الموت ولم يعد له سلطان علينا. «آخِرُ عدوٍّ يُبطَلُ هو الموتُ» (١ كور ١٥: ٢٦)، و«ابتُلِعَ الموتُ إلى غلبةٍ. أين شوكتك

لذلك نزل ابن الله إلى الأرض بعد أن أحنى السموات وصار ابن الإنسان وقال وعمل كل ذلك وفي النهاية مات من أجلنا وقام وصعد إلى السموات حتى يجعلنا سماويين وغير مائتين وأبناء الله.

الآن يطلب منا أن نحبّ أعداءنا، أن نحسن، أن نقرض الذين لن يعطونا أجراً بديلاً. كل ذلك ليس فقط مناسباً ومفيداً لنا بل هو قليل جداً إذا قيس بما فعله إبن الله من أجلنا: لقد قدّم نفسه لنا دون أن ينتظر منا شيئاً وفعل كل ذلك بعد أن كنا له في السابق أشراراً غير شكورين من خلال أعمالنا الكثيرة الرديئة. أمّا الآن فلنعطِ القليل مما عندنا وهو يجازينا بالتشبّه به بالبنوّة الإلهية، بالاجر السماوي. ويقول لنا أخيراً «كونوا رحماء كما ان أباكم السماوي هو رحيم».

الذي يليق له المجد مع الروح القدس إلى دهر الداهرين، آمين.

القديس غريغوريوس بالاماس

يا موتُ. أين غلبتُكِ يا هاوية» (١ كور ١٥: ٥٥). يقول الإنجيل انه لحظة موت يسوع على الصليب، «القبورُ تفتحت وقام كثيرٌ من أجسادِ القديسينَ الراقدينَ، وخرجوا من القبورِ بعد قيامته ودخلوا المدينةَ المقدَّسة وظهروا لكثيرينَ» (متى ٢٧: ٥٢–٥٣). الموت الذي كان يُخيف الناس تحطم. صار للموت معنى جديد. بالموت ندخل سر الفصح، لأن المسيح قام ووعدنا بقيامة لنا أيضاً إذا كنا معه. تحطم ذاك المجهول الذي وراء الموت. هناك حياة مع المسيح. قيامة الأموات أساسية حتى ان الرسول بولس يقول «فإن لم تكن قيامةُ أمواتٍ فلا يكونُ المسيحُ قد قامَ. وإنِ لم يكنِ المسيحُ قد قامَ فباطِلةٌ كِرازتُنا وباطِلٌ أيضاً إيمانُكم» (١ كور ١٥: ١٣–١٤). لهذا عند تعزية أحدهم نقول المسيح قام! لأن رجاءنا بالقيامة. لم يعد للموت سلطان علينا.

صحيح اننا ما زلنا نموت، ولكن صار للموت معنى جديد، الزمن ما زال هو هو ولكن معناه تجدد. صار الموت دخولاً في سر الفصح. لذلك يقول القديس بولس ان «الموت ربحٌ لي» و«خيرٌ لي أن أنطلق» لأنه بالموت يكون مع المسيح. نعم ما زلنا نموت جسدياً، ولكننا في الكنيسة نعتبر هذا رقاداً بانتظار القيامة العامة عندما «الرب نفسه بهُتافٍ بصوتِ رئيسِ ملائكةٍ وبوقِ اللهِ سوف ينزلُ من السماءِ والأمواتُ في المسيحِ سيقومونَ أولاً» (١ تسا ٤: ١٦) و«يخرج الذينَ فعلوا الصالحاتِ إلى قيامةِ الحياةِ والذينَ عمِلوا السيئاتِ إلى قيامةِ الدينونة» (يو ٥: ٢٩). وبالتالي حياتنا هنا تُقرِّر مصيرنا يوم القيامة العامة. فإذا كنا في حياتنا مع المسيح وعملنا الصالحات (بحسب الإنجيل) ننال الحياة الأبدية. وهكذا الذين توفوا على رجاء القيامة والحياة الأبدية والذين عاشوا بحسب الروح كما يقول الكتاب المقدس، فهم في راحة أبدية ولا يخافون شيئاً، لأنهم ضمنوا القيامة مع يسوع في اليوم الأخير. لذا علينا أن نعيش دوماً مع يسوع لكي نحصل على نتائج قيامته، أي الإنتصار على الزمن والخوف من الموت.

مدرسة التنشئة اللاهوتية

يعلن مكتب التربية المسيحية في المطرانية عن استمرار التسجيل للدورة الجديدة ٢٠٠٨–٢٠٠٩ في مدرسة التنشئة اللاهوتية. افتتاح السنة الدراسيَّة سيكون بصلاة الغروب التي ستُقام عند السادسة من مساء الإثنين ٦ تشرين الأول في كنيسة القديس ديمتريوس في الأشرفية.

تستقبل المدرسة كل من تجاوز الثامنة عشرة من العمر من الذين يريدون التعرّف على عقائد كنيستهم ولاهوتها. تُعطى الدروس أيام الإثنين والثلاثاء والخميس بين السادسة والثامنة مساءً في المركز الرعائي الشامل في مدرسة الأقمار الثلاثة مقابل كنيسة القديس ديمتريوس.

للتسجيل ولمزيد من المعلومات الرجاء الاتصال بالرقم ٠١/٣٣٤٠٨٦.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb